

## العقيدة الإسلامية عقيدة عقلية تدفع إليها الفطرة الإنسانية وتدعو إلى الاستقرار النفسي

وجدان خليل الكركي\*

### ملخص

خلق الإنسان في هذه الدنيا لهدف أساسي هو عبادة الله وخلافة في الأرض. والإيمان بالله تعالى وعبادته يمثل وسيلة للاستقرار النفسي، ويهدف هذا البحث إلى تفسير إحساس الإنسان بالله وإيمانه به من وجهة نظر بيولوجية تمثل الفطرة استناداً إلى مفهوم الشيفرة الوراثية (DNA) والتي أعلن العلماء فك رموزها عام (2000م)، إضافة إلى إيضاح أن الإيمان بالله حقيقة يقرها العقل استناداً إلى نظرية السويسري جان بياجيه (Piaget) في النمو المعرفي (Cognitive Development) والتي توضح تطور تفكير الإنسان من تفكير حسي مادي إلى تفكير منطقي ثم تفكير مجرد. وباعتبار أن الإيمان بالله تعالى وحده خالقاً مدبراً ومصدراً للقوة والقدرة ينبع من فطرة إنسانية، كما أنه حقيقة يقرها العقل، فإن هذا الإيمان الذي هو أساس العقيدة الإسلامية يمثل الضمان الوحيد للاستقرار النفسي والسعادة للفرد وللإنسانية.

**الكلمات الدالة:** العقيدة الإسلامية، الاستقرار النفسي.

---

\* كلية العلوم التربوية، جامعة مؤتة.

تاريخ قبول البحث: 2010/1/3.

تاريخ تقديم البحث: 2009/8/31.

© جميع حقوق النشر محفوظة لجامعة مؤتة، الكرك، المملكة الأردنية الهاشمية، 2011.

**Islamic Faith a Mental Creed, that is Uged by Huma Natural  
Disposition and Calls for Psychological Stability  
Wejdan.Kh. Karaki**

**Abstract**

Man had come to the earth as a worshipper and successor to Allah. The faith in Allah and worshipping Him represent a means of spiritual and psychological balance. This research aims at explaining the feeling of human being and faith in Him for the biological viewpoint which represents the instinct based on the concept of the (DNA) which scientists have declared the description of its symbols in the year 2000. In addition to clarification that faith in Allah is a reasonable logic, according to the theory of the Swiss (piaget) concerning cognitive development which explains the development of human thought from a sensual materialistic thought to logical thinking, then to abstract one.

In considering of faith that Allah is alone as creator and a source of power and capacity, that agrees with instinct and accepted by reason. So such faith which is the core of Islamic belief wipes out sources of disturbances and psychological diseases and represents the sole guarantee for psychological balance and happiness

**Keywords:** Islamic Faith, Psychological Stability.

**مقدمة:**

جاء الإنسان إلى الحياة لتحقيق غاية تتضح في قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات 56)، فالإيمان بالله وعبادته هما الهدف الأساسي لوجود الإنسان، وعبادة الله وتطبيق أحكامه يتحقق التوازن والاستقرار النفسي الذي ينعكس إيجاباً على صحة الإنسان الجسمية والنفسية والعقلية، كما ينعكس إيجاباً على المجتمع والإنسانية، قال الله تعالى: أَلَا بَذَرَ اللَّهُ تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ (الرعد، 28)، أما الإعراض عن عبادته فيؤدي إلى الشقاء والاضطرابات والأمراض النفسية التي تنعكس سلباً على الفرد والمجتمع، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً﴾ (طه 124).

والإيمان بالله ينبع من فطرة إنسانية مدفوعة بحاجة الإنسان إلى قوة عظمى يسألها ويلجأ إليها، كما أن الإيمان بالله هو حقيقة يقرها العقل، وما يوافق الفطرة والعقل من إيمان بالله وبالغيب الذي أخبر عنه سبحانه هو أساس العقيدة الإسلامية، وهو الطريق لتربية جيل صالح سوي، وهو سبيل سعادة الإنسانية.

### تعريف بالمصطلحات

**العقيدة:** الحكم الذي لا يقبل الشك فيه لدى معتقده، وفي الدين ما يقصد به الاعتقاد دون العمل كعقيدة وجود الله و بعثه الرسل (مجمع اللغة العربية، 200) وتشير العقيدة الإسلامية إلى الإيمان بالله عز وجل إلهاً واحداً خالقاً للكون مدبراً لأمره، قال الله تعالى: ﴿أَمَّا الرُّسُلُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَأَتْهُ وَكَتَبَهُ وَرَسُولُهُ﴾ (البقرة 285)، والإيمان بالمغيبات التي أخبر الله عن وجودها: الملائكة واليوم الآخر والجنة والنار والأنبياء والرسل والكتب السماوية والإيمان بالقدر خيريه وشره. (مسلم، 1955، ج1، ص40).

**الفطرة:** ما فطر الله عليه الخلق من المعرفة به، وقيل فطر كل إنسان على معرفته بأن الله رب كل شيء و خالقه (ابن منظور، دت، ص1109)، أي أنها طريقة خفية في إدراك وجود الله والإيمان بوجوده والاتصال به والاستعانة به، والدين من صميم الفطرة، فالكون كله مفطور على عبادة الله من خلال طاعته للقوانين التي سنّها الله في الوجود، وكذلك الإنسان فهو يعبد الله بشكل واع أي بأعمال إرادية يدركها ويقصدها، وبشكل لا واع بطاعته وخضوعه في حياته ومماته ونموه وصحته ومرضه لقوانين الله، ولأنها خفية فهي بحاجة إلى إيقاظ و توجيه؛ فالإنسان مثلاً لديه قدرة كامنة على النطق و لكنها تحتاج إلى بيئة توقظها (قطب، 1980، ص ص211-215).

**الغريزة:** وهي من الغرز؛ أي دخول الشيء في شيء آخر، وتشير إلى الطبيعة والفرجة والسجية، أي أنها قابلية الإنسان للقيام بسلوك معين منذ الولادة وتشير إلى القوة الراسخة في طبيعة الإنسان رسوخاً لا يمكن انفصالها عنه، ويساوي كلمة الغريزة في المعنى كلمة الفطرة أو الطبيعة (ابن منظور، دت، ص 975؛ مجمع اللغة العربية، 2004).

**التفكير:** وهي من الفكر؛ أي إعمال الخاطر في الشيء، والتفكر هو التأمل (ابن منظور، دت، ص1120)، والتفكير هو عملية معرفية معقدة تتضمن سلسلة من النشاطات العقلية غير المرئية التي يقوم بها الدماغ عندما يتعرض لمثير يتم استقباله عن طريق واحدة أو أكثر من الحواس الخمسة بحثاً عن معنى. والأنشطة التفكيرية منها ما هو بسيط ومباشر وخاصة ما يتعلق بالأنشطة المعروفة، ومنها ما هو معقد كما في حل المشكلات أو ابتكار حلول جديدة أو عمل استدلالات الربط ووالمنطق الزغول، 2001، ص 267)

**العقل:** التثبت في الأمور، وهو التمييز الذي به يتميز الإنسان من سائر الحيوان (ابن منظور، دت، ص845)، وهو القوة المهيأة لقبول العلم، وهو مكان التفكير، وللنشاط العقلي مستويات تزداد تعقيداً بزيادة العمر وتبعاً لذكاء الفرد (عدس وتوق، 1997، ص ص112-114).

**الاستقرار النفسي:** و يشير إلى التمتع بالصحة النفسية التي تجعل سلوكيات صاحبها مقبولة اجتماعياً، وتمكنه من التوافق مع نفسه ومع مجتمعه توافقاً مسؤولاً قائماً على بصيرة وإرادة (مرسي، 1995 ص ص984-995).

### مشكلة البحث:

لقد حقق الإنسان تقدماً علمياً وتكنولوجياً واقتصادياً عالياً، إلا أن ذلك واكبته انتشار العديد من الجرائم والاضطرابات والأمراض النفسية في عدد من دول العالم؛ حيث انتشرت الجرائم بين الصبية والمراهقين والشباب، وأصبحت أخبار الصحف تحمل تقارير تمثل انهيار الحس الحضاري وفقدان الإحساس بالأمان، والذي يصيب مختلف نواحي الحياة، فقد شهد عقد الثمانينات سلسلة منذرة بالخطر والتي تشير إلى سلوك انفعالي أخرق، وحالات من اليأس والقلق، وقفزة هائلة في حالات الاكتئاب التي يشهدها العالم أجمع (دانييل، 2000، ص 9، 10).

فقد أعلن رئيس مؤتمر الاضطراب النفسي الذي عقد في شيكاغو عام (1981) أن هناك (100) مليون شخص في العالم يعانون من الاكتئاب أغلبهم من دول العالم المتقدم، وأن هذا العدد في تزايد سريع، وأن الاكتئاب مرض يصيب الجميع دون فرق بين فقير أو غني (القرني، 1999، ص 202).

وأشارت منظمة الصحة العالمية أن منطقة شرق آسيا وغرب المحيط الهادي تشهد أكثر من (3000) حالة انتحار يومياً (منظمة الصحة العالمية، 2009). وتقيد دراسة أجريت في ألمانيا أن نسبة الانتحار تتجاوز في كل سنة عدد الوفيات من جراء حوادث السير [www.daralhayat.com](http://www.daralhayat.com), 2004، كما تقيد دراسة أخرى أن (1000) شخص ينتحرون كل يوم على مستوى العالم، وأن غالبية المنتحرين (98%) منهم كانوا مصابين بأمراض نفسية أو عضوية؛ (الشربيني، 2004+2001، [www.elazayem.com](http://www.elazayem.com)). فالاستقرار المادي لا يكفي وحده للسعادة في الحياة، إذ لا بد من الاستقرار النفسي والذي لا يتحقق إلا بعبادة الله وتطبيق أحكامه، ولهذا فإن هذا البحث سيوضح ما يلي:

**أولاً:** أن الإيمان بالله وعبادته والالتجاء إليه يوافق الفطرة الإنسانية التي تشتمل جوانب لا واعية توضح ميل الإنسان للعبادة بالاستناد إلى الجانب البيولوجي والوراثي في الإنسان.

**ثانياً:** أن الإيمان بالله سبحانه وبالعيب الذي أخبر عنه حقيقة عقلية، وأن هذا الإيمان هو أعلى درجات التفكير المنطقي والمجرد.

**ثالثاً:** لأن الإيمان بالله حقيقة عقلية توافق الفطرة فإن العقيدة الإسلامية القائمة على الإيمان تؤدي للاستقرار النفسي الذي يكفل سعادة الإنسانية.

وفي ما يلي إيضاح ذلك:

### المبحث الأول: الإيمان بالله وعبادته يوافق الفطرة الإنسانية

هناك العديد من الأحاسيس الداخلية الخفية كالإحساس بالحب والكره والقسوة والرحمة، وأقوى هذه الأحاسيس هو إحساس الإنسان بوجود الله سبحانه وتعالى (الشعراوي، د.ت، ص 5-7). والإحساس الخفي بوجود الله وعبادته يمثل مفهوم الفطرة، الذي يشير إلى قوة راسخة في الطبيعة الإنسانية تمثل جانباً طبيعياً أو غريزياً، وهذا الجانب الطبيعي أو الخفي قد يعبر عنه بالجانب الجيني أو الوراثة في الإنسان، أي أن الفطرة قد تستند إلى الجانب الوراثة أو الجيني في الإنسان.

والحديث عن الوراثة يمثل الحديث عن الكروموسومات وما تحمله من جينات، الجينات المتوارثة من الآباء والأجداد بدءاً بآدم عليه السلام، أي الشيفرة الوراثية (DNA)، قال الله تعالى: ﴿وبدأ خلق الإنسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين﴾ (السجدة 7، 8).

فالإنسان مخلوق من سلالة متوارثة فهو من أم وأب؛ من بويضة وحيوان منوي يحمل كل منهما (23) كروموسوماً، ويمثل التقاؤهما الخلية الإنسانية الأولى "البويضة المخصبة" "الزيجوت" (ZYGOT) التي تتألف من (46) كروموسوماً مرتبة في (23) زوجاً، وينقسم "الزيجوت" إلى خليتين تحتوي كل واحدة على نفس العدد من الكروموسومات، وتنقسم الخليتان إلى أربع، وتستمر عملية الانقسام غير المباشر حتى يتكون الإنسان من ملايين الخلايا، إذ يبلغ عدد الخلايا في الإنسان حوالي (100) تريليون خلية، تحمل كل واحدة من الخلايا نفس الكروموسومات الأصلية.

والكروموسومات هي تراكيب توجد في نواة الخلية وتتألف من الجينات التي تتألف بدورها من المادة الوراثية (DNA) (De oxyribo nucleic acid) والتي تعرف بالشيفرة الوراثية، وتمثل التركيبة الكاملة للتعليمات الخاصة بتكوين الكائن الحي، حيث تخزن المعلومات الوراثية وتقلها من الآباء إلى الأبناء (فلسفند، 1989، ص 30-40؛ علي 1999، ص 39-41).

فهذه الشيفرة تحمل خصائص الإنسان المتوارثة من جيل إلى جيل بدءاً بآدم عليه السلام أبي البشر أجمعين، إذ يخبرنا الله تعالى أنه خلقنا وصورنا في أصل وصلب أبينا آدم، قال الله تعالى: ﴿ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس لم يكن من الساجدين﴾ (الأعراف 11) ويقول تعالى: ﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم﴾ (الأعراف، 172) ويشير (ابن كثير، 1985، ج 3، ص 249) إلى أن الله تعالى يخبر أنه استخرج ذرية بني آدم من صلب آدم عليه السلام، وخلق من آدم زوجته حواء وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً، قال الله تعالى: ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً﴾ (النساء 1).

وهذه الشيفرة الوراثية (DNA) هي التي أعلن العلماء فك رموزها في (27/ حزيران/ 2000) من خلال مشروع الجينوم البشري (Human Genum project)، الذي كشف العلماء من خلاله عن التركيب الوراثي والشيفرة الجينية للإنسان والتي تصف جميع الجينات التي تحدد صفات الإنسان البدنية والنفسية، ويأمل العلماء من اكتشاف هذه الخارطة، أن يتم علاج وتقادي عدد كبير من الأمراض، كأمراض القلب والزهايمر وبعض السرطانات والتهابات المفاصل والربو الشعبي، بالإضافة إلى الكشف عن الأسباب التي تجعل بعض الناس أكثر استعداداً من غيرهم للإصابة بمرض ما (جريدة الرأي، 2000، ص 24؛ ميتشو كاكو، 2001، ص 185-187).

وفي (2001/2/14) أطلق الحل شبه الكامل للغز الخريطة البشرية حيث وجد أن (99.9%) من متواليات (DNA) متشابهة في جميع البشر (2001، www.islamonline.net، عبد الرحيم، 2001).

العقيدة الإسلامية عقيدة عقلية تدفع إليها الفطرة الإنسانية وتدعو إلى الاستقرار النفسي وجدان خليل الكركي

ص124) وذلك لأن الأصل هو واحد ومن آدم عليه السلام، قال تعالى: ﴿هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها﴾ (الأعراف 189)، فالناس مخلوقون من نفس واحدة من آدم عليه السلام.

ورغم هذا التشابه الكبير في جينات البشر إلا أن الاختلاف البسيط بينهم (0.1) كاف لجعل لكل إنسان شيفرة وراثية خاصة به تميزه عن الآخرين، فلكل إنسان بصمة إصبع لا تتكرر حتى في التوائم المتطابقة، حيث يتكون البنان في الشهر الرابع من المرحلة الجنينية، وتظل بصمة الإنسان ثابتة ومميزة طول حياته، وتعد دليلاً قاطعاً لشخصية الإنسان في كل بلاد العالم (علي، 1995، ص ص141-143؛ الجزائري، 1993، ص159).

ولكل إنسان بصمة لشبكية عينه يمكن بواسطتها أن يفتح حسابه البنكي، ولكل إنسان بصمة صوت يمكن أن يبرمج عليها حاسوبه الشخصي، فهذه الشيفرة الوراثية (DNA) التي تكونت في الخلية الإنسانية الأولى تتناسخ في جميع خلايا جسم الإنسان فيكون كل إنسان يحمل (99.9) من خصائص مشتركة مع البشر، وب نفس الوقت له شيفرته الخاصة التي تميزه عن غيره من بني جنسه؛ هذه الشيفرة التي يُبعث الإنسان تبعاً لها بعد الموت، قال الله تعالى: ﴿يَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ لَنْ نَجْمَعَهُمْ بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نَسُوِيَ بَنَانَهُ﴾ (القيامة 4,3).

وفيما يتعلق بالسلوك والنفس البشرية يشير العلماء إلى دور الجينات في صياغة السلوك؛ إذ يرى باحثون في معهد (كينغز كوليدج) في لندن أن كشف الخارطة الوراثية للإنسان سيحدث ثورة في التحليل النفسي وعلم النفس ومحاولة تحديد السلوك (2001، www.islamonline.net)، إذ تسعى البحوث لكشف تركيبة ال (DNA) التي تجعل فرداً دون آخر معرضاً للإدمان على مادة ما، إذ يبدو أن هناك سلسلة من الجينات تسيطر على بروتينات تشل حساسية لاقطات الخلايا العصبية وتحدد خلايا الدماغ دى تلقياً لجزيئات المخدرات (2001، www.islamonline.net؛ علي، 1999، ص ص176، 177).

ويعتقد أن الجينات ذات علاقة بسلوك الإدمان على الكحول والمخدرات وبسلوكات أخرى كالكآبة، والعنف والعدوان (علي، 1999، ص179؛ إرمان، 1994، ص369) كذلك يعتقد أن للجينات علاقة بالميل إلى الإجرام والتميز الرياضي والشذوذ الجنسي؛ فقد أشارت بعض الدراسات إلى وجود جينات ذات علاقة بالكآبة والسلوك الانتحاري والتدخين (2001، web) وبالعنف (عباس، 2007) ووجود جين له علاقة بالسلوك الإجرامي عبد الحميد، 2007).

مع عدم التقليل من أهمية البيئة في صياغة السلوك، أي أن هذه الاستعدادات الموروثة إذا وجدت بيئة ملائمة سهلت ظهورها كسلوكيات؛ بمعنى أن السلوكات الإجرامية والشاذة والعدوانية تنتج عن عمليات متبادلة بين عدة جينات ولكنها تتأثر بعمق بقواعد الأخلاق والضغط الاجتماعي قال صلى الله عليه وسلم: "كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه يمجسانه" (مسلم، 1955، ج، 4 ص2047)، أي أن تأثير الجينات على السلوك محتمل لكنه ليس محسوماً مما يشير إلى مبدأ الخيار الحر في السلوك (جريدة الدستور 2000، ص1999؛ 2001، www.islamonline.net). فالإنسان مخير وليس مسيراً؛ فهو مسير في لونه وشكله وبيئته ووالديه ودقات قلبه، فهو مسير في قطار الحياة، لكنه داخل ذلك مخير،

فهو يختار النوم من عدمه، والقراءة من كتاب وعدمها ويختار ماينطق به لسانه، وفي أمور التسيير لاثواب ولا عقاب ولا جنة ولا نار، أما في أمور التخيير فهناك العمل والطاعة، والثواب والعقاب (الزنداني، 1990).

وإذا كان هناك جينات تختص بالفجور وبالسلوك الإجرامي أو الشاذ أو الإدمان لم لا يكون هناك جين أو أكثر يختص بالإيمان والتقوى والتدين، أي انه يوجد في كروموسومات وجينات الإنسان وموروثاته من آدم عليه السلام استعداد فطري بيولوجي للفجور واستعداد فطري للإيمان والتقوى. قال الله تعالى ﴿ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها، قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها﴾ (الشمس 7-10) وقال تعالى ﴿أقم وجهك للدين حنيفا فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم و لكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ (الروم 30). وقال الرسول صلى الله عليه وسلم: "كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه بمجسانه" (مسلم، 1955، ج، 4 ص 2047).

وهذا الجين قد يكون موروثاً من آدم عليه السلام، إذ يقول الله تعالى: ﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين﴾ (الأعراف، 172) ويشير ابن كثير إلى أن الله تعالى يخبر أنه استخرج ذرية بني آدم من صلب آدم عليه السلام، وأشهدهم على أنفسهم أن الله ربهم وأنه فطرهم على ذلك وجبلهم عليه، فقد تكون هذه الشهادة بوحدانية الله تعالى على شكل جين موروث ضمن السلالة المتوارثة من آدم عليه السلام، وهي الحجة على بني آدم يوم القيامة (ابن كثير، 1985، ج3، ص 249)، خاصة أن خارطة الجينات كشفت أن (99.9%) من متاليات ال (DNA) متشابهة في جميع البشر،

إن تأثير الجينات على السلوك محتمل لكنه ليس محسوماً لوجود البيئة، فكما أن الاستعداد للفجور قد يتأثر بالجينات إلا أن للبيئة دوراً هاماً في توجيهه -من خلال الوالدين والرفاق والشياطين- قال صلى الله عليه وسلم: "كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه بمجسانه" (مسلم، 1955، ج، 4 ص 2047)، وكذلك الإيمان والتقوى؛ فالإنسان في كل زمان ومكان مفعول على أن يعبد الله، ويأتي دور البيئة من جهة لتساعده على عبادة الله ممثلة بالأنبياء والرسل والكتب السماوية والمعجزات، أو لتحرفه عن عبادته فيعبد غير الله؛ إذ عبد الإنسان الكواكب والنار والأصنام والبشر، إما من خلال تقليد الآباء، قال الله تعالى: ﴿إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون﴾ (الزخرف 22) أو بتأثير الشيطان كعامل بيئي يوسوس للإنسان ليضله عن سبيل الله قال تعالى: ﴿لم أعهد إليكم يا بني آدم ألا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين﴾ (يس 60)، وجاء في الحديث: "وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين، فاجتالتهن عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً" (مسلم، 1955، ج4، 2197)

ورغم التفاعل القائم بين الفطرة والبيئة إلا أن الدور الرئيس والحاسم في الإيمان بالله وعبادته هو للعقل، لكون الإيمان بالله وبالغيب الذي أخبر عنه سبحانه يمثل حقيقة عقلية.

### المبحث الثاني: أن الإيمان بالله سبحانه وبالغيب الذي أخبر عنه حقيقة عقلية

إذا كان الإيمان بالله يوافق الفطرة؛ فإن العقل والمنطق يؤيد ويدعم هذه الفطرة، ولم يكتف القرآن بالدعوة إلى الإيمان فقط بل دعا كذلك إلى استخدام العقل والمنطق والتفكير والعلم لمعرفة الخالق والإيمان به، فقد جاءت أول آية في القرآن الكريم أمرة بالعلم، قال الله تعالى: ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾ (العلق 1) كما أن الله تعالى ذكر في كتابه أن أكثر من يعرفه ويخشاه هم العلماء، قال الله تعالى: ﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم﴾ (آل عمران 18)، وقال تعالى: ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾ (فاطر 28). ووصف الله تعالى الكافرين والمنافقين بأنهم لا يفقهون ولا يعلمون، قال الله تعالى: ﴿ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون﴾ (المنافقون 3)، قال الله تعالى: ﴿كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون﴾ (الروم 59)، فالعقل والمنطق يدعم ويوافق ويؤيد فطرة الإيمان.

ويتطور عقل الإنسان وتفكيره تبعاً لنضجه المتأثر بعوامل بيئية، ويتطور تفكيره ونموه المعرفي تتطور قدرته على إجراء العمليات العقلية التي تقوده لمعرفة الخالق، وهذا التطور محكوم بعوامل النضج والبيئة.

ويعتبر عالم النفس السويسري جان بياجيه (Jean Piaget) (1896-1980) من أفضل من قدم نظرية متكاملة في النمو المعرفي (Cognitive development) على أساس فكرة المراحل، ويعتبر بياجيه أن النمو المعرفي يسير حسب مراحل معينة لها خصائص مميزة، والنمو المعرفي هو التغييرات الطارئة على التراكيب العقلية، والتراكيب العقلية هو تركيب ذهني أو معرفي مسؤول عن تنظيم السلوك، ويشتمل النمو المعرفي على عمليات عقلية معرفية وسيطية كالفهم والإدراك والتخيل والتحليل والتقويم والتطبيق، وتوصف هذه النظرية بأنها عالمية، أي أنها تنطبق في كافة البيئات رغم اختلاف الثقافات؛ لأن النمو العقلي يرتبط بالنضج.

وتشير نظرية بياجيه إلى أن النمو المعرفي يمر بمراحل نمائية تراكمية، وأن كل مرحلة تشتمل على مهام عقلية نمائية يجب إتقانها ليتم النمو المعرفي، بدءاً من المرحلة الحس حركية حتى مرحلة التفكير المجرد (نشواتي، 1983، ص 155-157؛ عدس و توق، 1997، ص 112-115)، والمقصود بالمهمة النمائية العقلية أنها مهارة عقلية يجب إتقانها والنجاح فيها، ليتم الانتقال إلى المرحلة المعرفية التالية، وليتم إتقان المهام النمائية العقلية الموجودة في المراحل التالية.

كذلك فإن إيمان الإنسان يبني في البداية على جوانب حسية مادية، وكلما نما تفكيره فإن المنطق والعلم يقودانه لمعرفة الخالق، وعندما يصل إلى التفكير المجرد وأعلى درجات العلم فإنه يكون في أعلى مراتب معرفة الخالق وخشيته.



أما المراحل التي ذكرها بياجيه فهي:

### 1- مرحلة الحس حركية sensorimotor stage

وتتمتد هذه المرحلة حتى نهاية السنة الثانية من عمر الإنسان، ويكون أساس التفكير فيها هو التفاعل القائم بين ما يدرك عن طريق الحواس والنشاط الحركي والمهمة النمائية العقلية الواجب إتقانها في هذه المرحلة هي ثبات أو بقاء الأشياء (object permanency) والمقصود به إدراك أن الشيء موجود رغم اختفائه من المحيط الحسي المباشر، ويشير ذلك إلى القدرة على تكوين صورة ذهنية للأشياء أي القدرة على التخيل (عدس وتوق. 1997، صص 112، 113).

ويلاحظ أن الكافرين عادة ما يعبدون شيئاً يدرك بالحواس الخمسة كالشمس والنار والأصنام وغيرها، ويطلبون أن يروا الله والملائكة لكي يؤمنوا، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾ (البقرة 55)، قال الله تعالى: ﴿فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرَنَا اللَّهَ جَهْرَةً﴾ (النساء 153)، قال الله تعالى ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَايِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا﴾ (الفرقان 21)، قال الله تعالى: ﴿لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَايِكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (الحجر 7) فالكافرين يعجزون عقلياً عن تخيل خالق لا يدرك مباشرة بالحواس الخمسة، قال الله تعالى: ﴿لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يَدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ (الأنعام 103).

ولهذا فقد وصفهم الله تعالى بأنهم لا يفقهون ولا يعلمون، فهم لا يتقنون أول مهمة نمائية عقلية خاصة بأول عامين من عمر الإنسان وهي ثبات الأشياء - أي أنهم يعجزون عن تكوين صورة ذهنية لشيء غير محسوس - ، ولا يؤمنون إلا بوسائل الإدراك الحسية المادية، وهي التي يدرك بها الطفل دون عمر سنتين، ولكن الله لرحمته بعباده ومعرفته باختلاف قدراتهم العقلية وانحرافهم عن الفطرة كان يبعث الرسل ويؤيدهم بالكتب السماوية وبمعجزات حسية كي يؤمن الناس؛ فناقة صالح عليه السلام، قال الله تعالى: ﴿هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ﴾ (الأعراف 73) وعصا موسى عليه السلام، قال الله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ (الأعراف 117)، ووقرة عيسى عليه السلام على شفاء المرضى وإحياء الموتى بإذن الله، قال الله تعالى: ﴿وَتَبَرَأُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ أَخْرَجَ الْمُوتَى بِإِذْنِي﴾ (المائدة 110)، والقرآن الكريم معجزة محمد عليه الصلاة والسلام، قال الله تعالى: ﴿قُلْ لَنْ أَجْتَمِعَ الْإِنْسَ وَالْجِنَّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾ (الإسراء 88).

### 2- مرحلة ما قبل العمليات preoperational stage

وتقع بين نهاية السنة الثانية والسنة السابعة، وفي هذا السن يبدأ تعليم الأطفال على الصلاة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر، وفرقوا بينهم في المضاجع) (أبو داود، 202-27هـ)، ويمثل الاحتفاظ (conservation) في هذه المرحلة مهمة نمائية عقلية يجب إتقانها، والاحتفاظ يشير إلى الوعي بأن كمية الشيء - كتنته - لا تتغير عندما يتغير شكله أو عندما يقسم لأجزاء، كما أن وزن مجموعة أشياء يبقى واحداً بغض النظر

العقيدة الإسلامية عقيدة عقلية تدفع إليها الفطرة الإنسانية وتدعو إلى الاستقرار النفسي وجدان خليل الكركي

عن كيفية ترتيبها، وكذلك فإن السوائل لا تتغير مقاديرها بغض النظر عن الأواني التي توضع فيها (عدس وتوق، 1997ص113).

أي أن مفهوم الاحتفاظ يشير إلى القدرة على تخيل أبعاد غير البعد البصري؛ فحجم السائل يتحدد بثلاثة أبعاد هي الطول والعرض والارتفاع وليس البعد المرئي-الارتفاع-، وكتلة الشيء لا تتحدد بطوله أو بعرضه بل بكميته، والوزن كذلك، أي أنه يجب أن يدرك الإنسان أن هناك أبعاداً غير مرئية تمثل جانباً هاماً ليكون التفكير منطقياً وصحيحاً

وهذا بدوره يستند إلى إتقان مفهوم الثبات - تكوين صورة ذهنية لشيء غير مدرك بالحواس، والاحتفاظ يشير إلى تكوين صورة ذهنية لأبعاد غير مرئية، أي أن يتخيل تخيلاً منطقياً، مما يقود إلى التفكير المنطقي، فيميز الإنسان الأوزان والأحجام، ويعلم أن الأشياء ليست كما تبدو وتظهر فقط، وأن عليه أن ينظر للأمور من أكثر من زاوية وبعد؛ فعندما يتخيل الطفل ذهنياً صورة لعبة غير مرئية - مفهوم الثبات- يستطيع فيما بعد أن يتخيل ويدرك أن للحجم مثلاً ثلاثة أبعاد. وفي نهاية هذه المرحلة يتقن الإنسان مفهوم الاحتفاظ، وبذلك ينتقل للمرحلة التالية.

### 3- مرحلة العمليات المادية concrete operational stage

وتقع بين السنة السابعة والسنة الثانية عشرة، وفي هذه المرحلة لأن الطفل تمكن من إدراك مفاهيم الحفظ المختلفة؛ فإنه يستطيع أن يصنف الأشياء حسب حجمها أو وزنها أو عددها أو كتلتها (نشواتي، 1983 ص159؛ قطامي وعدس، 2002، ص110) أي أنه ينظر للأشياء المادية بأكثر من بعد، ولا يحكم عليها من ظاهرها فقط. وفي هذه المرحلة يمكن للإنسان أن يتمثل ذهنياً سلسلة من الأحداث المنطقية المتسلسلة والمتتابعة، ولكنها قائمة على أساس مادي، كأن يرسم خارطة لموقع ما، أو يصف هذا الموقع، كما يمكن التفكير بنتائج الأفعال والتنبؤ بالحوادث المستقبلية، ولكن على الأساس المادي الملموس. كما يتجه نحو التجريب ويلاحظ الملاحظات والأشياء الملموسة ويقوم باستنتاجات حولها.

ويفترض بالإنسان الذي يرتقي إلى التفكير المنطقي أن يصل بالمنطق إلى الإيمان بالله تعالى، حيث أن عظمة ودقة الكون دليل على وجود خالق عظيم، فالكون أوسع من كرتنا الأرضية، والحياة لا تنتهي بالموت، وبالتفكير المنطقي عرف إبراهيم عليه السلام ربه وأن للكون خالقاً عظيماً؛ فقد كان قوم إبراهيم في حرّان يعبدون الكواكب (ابن كثير 1983 ص152)، وهذا يمثل التفكير الحسي المادي فلا يعبدون إلا ما يرونه ويدركونه عن طريق الحواس، أما إبراهيم عليه السلام فقارن بشكل منطقي بين حجم الكوكب والقمر والشمس ووصل بالمنطق إلى أنها ليست إلا مخلوقات من أفعال الخالق الذي خلق هذا الكون، قال الله تعالى: ﴿وكذلك نري إبراهيم ملكوت السماوات والأرض وليكون من الموقنين فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الأفلين فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي فلما أفل قال لنن لم يهديني ربي لأكونن من القوم الضالين فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال يقوم إنني بريء مما تشركون إنني وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفاً

وما أنا من المشركين» (الأنعام 75-79). فإبراهيم عليه السلام استنتج منطقياً من الأدلة المادية في الكون أن للكون خالقاً.

وقد تبين بالعلم الحديث أن الأرض ليست إلا كوكباً من مجموعة كواكب تدور حول الشمس، التي هي نجم من ملايين النجوم الموجودة في مجرة من ملايين المجرات، وأن كل ما في الكون يسير في مدارات دقيقة بحركة متسقة عكس عقارب الساعة؛ وهو نفس دوران الإلكترونات في أفلاكها في داخل الذرة التي تمثل أصغر مكونات المادة؛ وهذا هو نفس اتجاه الطواف حول الكعبة، أي أن هذه الكواكب في أفلاكها هي مخلوقات تسبح الله، وهذا يشير أن لهذا الكون خالقاً عظيماً وأن كل ما في الكون يطوف مسبحاً له، قال الله تعالى: ﴿تسبح له السماوات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم﴾ (الإسراء 44). وهذا المبدأ العلمي الذي تم اكتشافه في الوقت المعاصر بالوسائل العلمية المتقدمة توصل إليه إبراهيم عليه السلام بالتفكير المنطقي.

كما عبد قوم إبراهيم في بابل الأصنام (ابن كثير، 1983ص157) وعبادة الأصنام تمثل أيضاً تفكيراً حسياً مادياً، فالأصنام يراها الكافر ويحس بها بشكل مادي، وحاول إبراهيم عليه السلام أن يقنعهم بالمنطق بعجز هذه الأصنام عن أن تقيد أو أن تضر، وذلك عندما حطم الأصنام وترك واحداً فقط ليسأل عن كسر الأصنام، قال الله تعالى: ﴿إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون﴾ (الأنبياء 52)، قال الله تعالى: ﴿وتالله لأكنن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين فجعلهم جذاذاً إلا كبيراً لهم لعلهم إليه يرجعون قالوا من فعل هذا بالهتتا إنه لمن الظالمين قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم قالوا فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون قالوا أنت فعلت هذا بالهتتا يا إبراهيم قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون فرجعوا إلى أنفسهم فقالوا إنكم أنتم الظالمون ثم نكسوا على رؤوسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون قال أفتعبدون من دون الله مالا ينفعكم شيئاً ولا يضركم أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون﴾ (الأنبياء 57-67).

وبالمنطق يصف الله تعالى خلق الإنسان وتطوره وبعثه، وقد كشف العلم الحديث عن دقة وصف القرآن لتطور الجنين، قال الله تعالى: ﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين، ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا مضغة فخلقنا مضغة عظماً فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين ثم إنكم بعد ذلك لميتون ثم إنكم يوم القيامة تبعثون﴾ (المؤمنون 12-16)، وأثبت علم الأجنة التشريحي الحديث وتوفر المجاهر الدقيقة والألتراساوند دقة وصف مراحل تطور الإنسان من نطفة إلى علقة ثم مضغة، ودور تكوين العظام (الدباغ، 1985ص79، 78) ودور كساء العظم باللحم (النعمي، 1990ص50)، وبما أن جميع الخلق يموتون فإن هناك مرحلة ستأتي هي مرحلة البعث والحساب، حيث أن لكل إنسان شيفرة وراثية يبعث الناس بواسطتها يوم القيامة كما تبين سابقاً. فهذه المؤشرات العلمية الواردة في القرآن الكريم والتي أثبتتها المعاصر تمثل أدلة منطقية على أن هذا الكتاب منزل من قبل الله تعالى للعالم بكل شيء.

العقيدة الإسلامية عقيدة عقلية تدفع إليها الفطرة الإنسانية وتدعو إلى الاستقرار النفسي وجدان خليل الكركي

وبالمنطق يعلمنا القرآن عن الكثير من المعجزات العلمية التي ذكرها القرآن قبل (14) أربعة عشر قرناً وأثبت العلم صحتها؛ في الطب وفي البيولوجيا (الجميلي 1985 ص 43-49؛ غنيم، 1995؛ عبد الصمد، 1993 ص 195-225)، وفي الجيولوجيا والفلك والماء (الدباغ، 1985، ص 78، 79؛ الطراونة، 2000، ص 7-120؛ الزنداني، 1990، ص 74-77). والله سبحانه وتعالى يدعو لأن يفكر الإنسان في نفسه وفي الكون كي يقتنع بأن الله حق فيكون إيمانه الفطري مدعوماً بقناعة عقلية، قال الله تعالى: ﴿سربهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق﴾ (فصلت 53) .

وقد أشار الفلاسفة المسلمون إلى أهمية العقل والتفكير في الكون في معرفة الخالق؛ فقد أوضح ابن رشد أن السعادة الإنسانية تقاس بعلم الإنسان بالمنطق، إذ يسهل المنطق الطريق للوصول إلى الحقيقة، كما يرى الفارابي أن من الأدلة المساعدة على الاعتقاد بالله هو إقناعه في صنع العالم (Netton, pp123-125، 1989؛ محمود، 1982، ص 243).

وتبعاً لنظرية بياجيه فإن إتقان التفكير المنطقي القائم على أساس مادي، هو الوسيلة للوصول إلى التفكير المنطقي القائم على أسس غير مادية، وهو ما يعرف بالتفكير المجرد، فإتقان الإنسان للتفكير المنطقي في هذه المرحلة ينقله إلى المرحلة التالية وهي مرحلة التفكير المجرد.

#### 4- مرحلة التفكير المجرد formal operational stage

وتمتد هذه المرحلة من عمر اثنتي عشرة سنة فما فوق، حيث يتقن الإنسان فيها التفكير المجرد؛ أي أنه يستطيع أن يتمثل ذهنياً سلسلة من الأحداث المتتابعة دون الاستناد إلى أساس مادي، كما أنه يتمكن من التفكير بنتائج الأفعال والتنبؤ بالحوادث المستقبلية فيصوغ الفرضيات ويتأكد منها بطريقة نظامية ويعزل عناصر المشكلة ويعالج بانتظام جميع الحلول الممكنة، وكل ذلك دون الاستناد إلى أساس مادي (نشواتي، 1983، ص 162، توق وعدس، 1997، ص 115) .

ولا يصل الإنسان إلى التفكير المجرد إلا بعد أن يتقن المهام النمائية العقلية الخاصة بالمراحل السابقة (الثبات، الاحتفاظ، التفكير المنطقي)، كما أنه لا يصل جميع الناس إلى التفكير المجرد؛ لأن ذلك تحكمه عوامل موروثية وعوامل بيئية، ويلاحظ أن التكليف يكون في هذه المرحلة كالصيام والحج والزكاة والجهاد.

والمفاهيم المجردة تتضمن مفاهيم غير مادية كالشجاعة والصدق والمروءة والكرامة وغيرها، وتتضمن كذلك الرياضيات المعاصرة المتقدمة بنظرياتها وبراهينها القائمة على استخدام الرموز كما في التفاضل والتكامل، وتتضمن كذلك الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والإيمان بالقضاء والقدر والإيمان بالغيب غير المحسوس بأشكاله المختلفة.

إن عدم قدرتنا على رؤية الله سبحانه وتعالى وسماعه، وعدم قدرتنا على رؤية الملائكة والجن، وعدم إدراكنا للغيب لا يعني إنكاره؛ لأن الإدراك الحسي هو أدنى درجات التفكير والعلم.

وعندما يصل الإنسان للقدر على أن يتخيل أبعاداً غير مرئية دون الاستناد إلى أساس مادي، وعندما يتمكن من اختراع أدوات علمية يدرك من خلالها العالم اللامرئي - كالمجهر مثلاً - فإنه يكون قد وصل إلى أعلى درجات التفكير، وهو التفكير المجرد، إذ أن هناك أبعاداً وحقائق وأجساماً غير مرئية بالنسبة لنا كبشر ولكنها موجودة، فقصور حواسنا عن إدراكها لا يعني إنكارها، فقد أقسم تعالى بما نبصر وبما لا نبصر، قال الله تعالى: ﴿فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون﴾ (الحاقة 38، 39).

فلحواسنا حدود لا نتجاوزها إلا باستخدام الأجهزة العلمية المتطورة، فنحن لا نرى البعيد جداً ولا القريب جداً، وهو ما يعرف بنقطة (المدى أو الكتب)، وهناك إشعاعات لا يمكن للعين أن تبصرها، كالأشعة تحت الحمراء وفوق البنفسجية وأشعة (ألفا) وأشعة (غاما) وأشعة (x) وغيرها، كما أننا لا نرى الجراثيم والفيروسات بالعين المجردة مع أنها موجودة (علي، 1995، ص138)، وللسمع أيضاً حدود فالأذن البشرية لا تسمع الذبذبات التي هي أقل من (16) ذبذبة في الثانية أو أكبر من (30.000) ذبذبة في الثانية كصوت الخفافيش.

وقد أخبرنا الله تعالى أنه هو خالقنا، وأخبرنا عن عالم الغيب، وعن وجود الملائكة والجن والشياطين، قال الله تعالى: ﴿ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبیین﴾ (البقرة 177)، وأخبرنا أن الشيطان يرانا هو وقبيله من حيث لا نراهم، قال الله تعالى: ﴿إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم﴾ (الأعراف 27)، وأخبرنا أن الملائكة والروح تخرج إلى السماء، قال الله تعالى: ﴿تخرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة﴾ (المعارج 4).

فكيف يرقى فكر الإنسان ليفهم حركة الروح والملائكة بين السماء والأرض، ويفهم وجود الشياطين الذين لا نراهم، ويفهم حقيقة الروح التي يعيش بها الإنسان وهي غير مرئية، لكن بالمنطق عندما نعلم أن الملائكة خلقت من نور، وأن الجن بما فيهم الشياطين خلقوا من نار، قال الله تعالى: ﴿وخلق الجن من نار مارج من نار﴾ (الرحمن 15)، وأن روح الإنسان من أمر الله وأنه استأثر بعلمها، قال الله تعالى: ﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾ (الإسراء 85)، فإننا ندرك أننا لا نتحدث عن أمور مادية عادية سهلة الإدراك، إذ جاء في الحديث الشريف قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "خُلقت الملائكة من نور وخلق الجن من مارج من نار وخلق آدم مما وصف لكم" (مسلم، 1955، ج4، ص2294).

فإن كنا لا نتحدث عن أجسام مادية؛ فإن إمكانية انتقالها بالفضاء وبسرعات عالية شيء ممكن؛ فالنظرية النسبية لأينشتاين تشير إلى سرعة الضوء (300.000 كم / الثانية) وهي السرعة التي تقاس بها المسافات الفلكية؛ إذ تقاس المسافات الفلكية بالسنة الضوئية، والتي تمثل المسافة التي يقطعها الضوء في سنة كاملة.

ويخبرنا تعالى عن حركة الملائكة وهي مخلوقة من نور - فلا تخضع لقوانيننا المادية -، كما أن معجزة الإسراء والمعراج التي أسري فيها بالرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) من المسجد الحرام بمكة إلى

العقيدة الإسلامية عقيدة عقلية تدفع إليها الفطرة الإنسانية وتدعو إلى الاستقرار النفسي وجدان خليل الكركي

المسجد الأقصى بالقدس، ثم عرج به إلى السماوات العلى، ركب فيها الرسول (صلى الله عليه وسلم) دابة البراق؛ قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أنبت بالبراق وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه قال فركبته حتى أنبت بيت المقدس قال فربطته بالحلقة التي يربط به الأنبياء قال ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت" (البخاري، 194 - 256 هـ)، وكلمة براق من برق-شكل من أشكال الطاقة-وهي إشارة علمية، فإن عرف البشر سرعة الضوء ووصلوا بعلمهم إلى القمر، فإن علم الله أعظم ويسع السماوات والأرض

إن فهم عالم الغيب والإيمان يتأثر بالتفكير الحسي والأدلة العقلية المادية كما يرقى أيضا ليمثل شكلا من أشكال التفكير المجرد، والقائم على تمثل ذهني لسلسلة من الأحداث المتتالية وغير القائم على أساس مادي، حيث يُكوّن الإنسان صوراً ذهنية منطقية بأبعاد متعددة لأشياء غير مرئية أو غير مدركة بالحواس الخمسة وذلك لمحدودية هذه الحواس، وهذه المحدودية لحكمة قدرها الله تعالى، فيكون الإيمان بالغيب هو أعلى درجات التفكير، فكون هذه الغيبات غير محسوسة لا يعني إنكارها بل يعني أن عقولا عظيمة هي فقط التي تستطيع أن تستوعبها ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾ (فاطر 28)، فالعلم يأتي أيضا من التفكير.

فعلم الإنسان ما هو إلا منحة من الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿علم الإنسان ما لم يعلم﴾ (العلق 5) وما يملك البشر من علم ليس إلا فطرة من بحر علم الله خالق هذا الإنسان، قال الله تعالى: ﴿وما أو تبتّم من العلم إلا قليلا﴾ (الإسراء 85)، فكيف يجادل الإنسان الضعيف الذي هو من صنع الله وجود الله والغيب والبعث والحساب، قال الله تعالى: ﴿وكان الإنسان أكثر شيء جدلا﴾ (الكهف 54) ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يَحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ قُلْ يَحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ (يس 78، 79).

إن إنكار الخالق والغيب يعكس عقولا ضيقة حسية عاجزة عن القيام بعمليات معرفية عقلية متقدمة تشمل التفكير المنطقي المادي والمجرد، علما بأن الله تعالى أنزل الكتب وبعث الرسل والمعجزات الحسية المؤيدة لهم، وجعل العديد من آياته في أنفسنا وفي الكون لنؤمن، وأنعم بمعرفته الحقيقية على ذوي العقول النيرة، فالإيمان بالله وبالغيب الذي أخبر به حقيقة عقلية وفطرية.

**المبحث الثالث: الإيمان بالله حقيقة عقلية توافق الفطرة، والعقيدة الإسلامية القائمة على الإيمان تؤدي**

**للاستقرار النفسي الذي يكفل سعادة الإنسانية.**

إن العقيدة الإسلامية عقيدة عقلية تدفع لها الفطرة وتدعو للاستقرار النفسي الذي يكفل سعادة الإنسانية، إذ أن التطور والرقى المادي والتكنولوجي والعلمي وحده لا يكفي للسعادة في الحياة، حيث يعاني العديد من الناس في عصرنا الحاضر من الأزمات والاضطرابات والصراعات النفسية؛ كالقلق والتوتر والخوف والحد والانطواء والكبت والتردد والشك والغيرة والشعور بالإثم والشعور بالنقص وضعف الثقة بالنفس، مما يؤدي إلى الاضطرابات والأمراض النفسية وقد يقود إلى الانتحار، كما قد يؤدي إلى أمراض جسمية عديدة كارتفاع ضغط الدم والسكري وأمراض القلب وبعض أنواع السرطان (العمر، 1998 صص 142-145؛ إبراهيم، 1994).

ومصدر الهم والقلق والصراعات والاضطرابات النفسية هو شعور الإنسان بضعفه أمام أحداث الحياة، (الرفاعي، 1987)، وهذا الشعور ناتج عن ضعف الإيمان بالله وسيطرة الجوانب المادية على الحياة؛ لأن الإنسان المؤمن بالله يعلم أن الإيمان بالله هو الضمان الوحيد في رحلة الدنيا والآخرة وأنه لاحكم إلا الله، ولا نافع ولا ضار إلا الله تعالى (محمود، د.ت).

فإن الله تعالى هو مالك الملك، وهو الرزاق والمعز والمذل والمعين والكريم والغني والمغني وهو الرحمن الرحيم، قال الله تعالى: ﴿ قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء ﴾ (آل عمران 26) فلا ضرورة لأن يسأل الإنسان سواه، قال الله تعالى: ﴿ وفي السماء رزقكم وما توعدون ﴾ (الذاريات 22)

وعندما نحتاج الله نسأله فنجد قريبا يجيب الدعاء، قال الله تعالى: ﴿ وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان ﴾ (البقرة 186) وقال ربكم ادعوني استجب لكم ﴿ (غافر 60)، فلا رجال دين ولا وسائط بين الإنسان وربّه بل علاقة خاصة مباشرة، إنها علاقة العبد المخلوق بربه وخالقه.

ومهما كان الإنسان على قدر من الاتزان الانفعالي والسوي لأبد من ارتكابه بعض الأخطاء أو شعوره بالخطأ ولوم الذات ومحاسبتها، حيث يشعر الإنسان عادة بضرورة مراجعة نفسه ومحاسبتها عما قامت به من سلوكيات أو عن أحاسيس ومشاعر ومعتقدات، ويصاحب هذه العملية آلام ومعاناة أو رضا وارتياح كل حسب ما سبقه من عمل أو شعور أو بلغة التحليل النفسي مراقبة الأنا العليا لكل من الهو والأنا (الرفاعي، 1987)، فإذا أخطأ الإنسان فإن الله غفور رحيم يغفر الذنب ويقبل التوبة ﴿والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله﴾ (آل عمران 135). فبالاستغفار يتخلص الإنسان المؤمن من الشعور بالذنب والإثم الذي يولد العقد النفسية.

وإذا ظلم المؤمن فإنه يلجأ لله العدل الحكم الذي لا يظلم ولا تضيق لديه الحقوق، ويحتسب أمره عند الله فيستجيب لدعاء المظلوم ولو بعد حين، قال الله تعالى: ﴿ ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون ﴾ (إبراهيم 42) فإن الله هو الأعظم والأكبر وهو القهار والقادر على كل شيء، قال الله تعالى: ﴿ وهو القاهر فوق عباده ﴾ (الأنعام 18) ﴿ إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون ﴾ (يس 82) فالمؤمن لا يخشى الناس بل يخشى الله وحده، قال الله تعالى: ﴿ الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء ﴾. (آل عمران 173، 174)، فلا كبت ولا قهر ولا خوف ولا شعور بالنقص مع الإيمان .

ويرضى المؤمن بالله بما قدره الله له ويرزق الله حتى وإن صادفه ما يكره، لأن الله حكيم فيما يُقدر، قال الله تعالى: ﴿ وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم ﴾ (البقرة 216) ﴿ فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا ﴾ (النساء 19) فالمؤمن يعمل ولا يتوكل ويبذل الجهد ويتقبل النتائج بعد ذلك سواء وافقت ما يريد أم لم توافق.

العقيدة الإسلامية عقيدة عقلية تدفع إليها الفطرة الإنسانية وتدعو إلى الاستقرار النفسي وجدان خليل الكركي

ولا ييأس المؤمن إذا أصابته مصيبة، قال الله تعالى: ﴿ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب﴾ (الحديد 22) فلا يلوم نفسه ولا يندم، كما أن المؤمن لا يخشى الموت لأنه حق ولأنه آتٍ ولا هروب منه، قال الله تعالى: ﴿أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة﴾ (النساء 78) "قل إن الموت الذي تفرون منه فإنه ملاقيكم" (الجمعة 8) فالموت مرحلة من مراحل الحياة، وهو انتقال من الدنيا إلى الآخرة، ويليهِ البعث والحساب، ثم حياة الخلود في الجنة أو النار، قال الله تعالى: ﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين، ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين ثم إنكم بعد ذلك لميتون ثم إنكم يوم القيامة تبعثون﴾ (المؤمنون 12-16). وإذا فقد غالبا بالموت يحزن ولا يجزع، قال الله تعالى: ﴿الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون﴾ (البقرة 156) إذ يلي الموت لقاء الله الذي يؤمن به ويحبه، قال الله تعالى: ﴿وكلهم آتية يوم القيامة فردا﴾ (مريم 95).

إن الإيمان بالله تعالى يوحد مشاعر الإنسان نحو مصدر واحد للتلقي، فهو لا يخاف إلا واحدا، ولا يتقي إلا واحدا، ولا يسأل إلا واحدا، ولا يتقرب إلا لواحد (محمود، د.ت) فلا إله إلا الله، ولا حبيب ولا قريب ولا مجيب للدعاء إلا الله، ولا مفرج للهم والغم إلا الله، ولا رازق إلا الله، إله واحد آمن به بفطرته وأيقن به بعقله، فأحبه وتقرب إليه.

فالعقيدة دور فعال في منع واجتثاث الأمراض والاضطرابات النفسية، فالإيمان بالله وذكره وتقواه وسيلة للرزق ولتفريج الهموم ولاطمئنان القلوب، قال الله تعالى: ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه﴾ (الطلاق 2-3) ﴿ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾ (الرعد 28).

فاتصال الإنسان بخالقه ينمي فيه طهارة القلب وصفاء النفس ونقاوة الضمير؛ لأن الإنسان لا يركز على الجوانب المادية للحياة، ولا ينظر للدنيا على أنها نهاية المطاف (عدس، 1985)، إن الإيمان بالله الحي الذي لا يموت يجعل كل مصيبة في الدنيا بسيطة، ويشعر الإنسان بضآلة الدنيا وما فيها ومن فيها، فهو يعمل في الدنيا من أجل الآخرة ليَرْضَى الله وليقوم بواجب الخلافة في الأرض، قال الله تعالى: ﴿وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة﴾ (البقرة 30) ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض﴾ (النور 55).

والإيمان بالله لا يعني التواكل والاستكانة بل يعني العمل والاستعداد، ثم الرضى بالنتائج، فلصاحب العقيدة الصحيحة رسالة إنسانية تشعره بقيمة الحياة، وتضع أمامه أهدافا لتحقيقها، فالخلافة في الأرض ترتب عليه واجبات يجب أن يؤديها، مما يعطي للإنسان قيمة وكرامة ويعزز ثقته بنفسه، ولهذا لا يوجد ملل أو يأس مع الحياة (العمر، 1998 ص 134). وهذا كفيل بإخراج الإنسان من ضيق التفكير الفردي الأناني وضيق التفكير المادي الدنيوي، وكفيل بجعله يعمل لدنياء وكأنه يعيش أبدا، ويعمل لآخرته كأنه يموت غدا. وبهذا فإن العقيدة الإسلامية القائمة على حقيقة الإيمان بالله إيمانا يوافق الفطرة هو السبيل لتحقيق الاستقرار النفسي، لأن الله الذي خلق الإنسان هو الذي خلق النفس الإنسانية أيضا، وهو أعلم بما يلائم هذه



النفس لتكون سعيدة، إذ أقسم سبحانه بالنفس، قال الله تعالى: ﴿ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها﴾ (الشمس 7-10) .

وتفيد الآية السابقة أن السلوك اختياري لا حتمي، وأن الإنسان مسؤول عن سلوكه الذي يختاره بمحض إرادته وتفكيره، فإن اختار الإيمان بالله وطبق أحكامه سعد في الدنيا والآخرة، قال الله تعالى ﴿من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾ (النحل 97) ﴿ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾ (الرعد 28).

أما إن أعرض عن خالقه وعن عبادته واختار الدنيا ومتاعها من مال وولد وجاه، شقي وتعب وعانى في حياته كما أوعده بذلك الله تعالى: ﴿ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا﴾ (طه 124).

#### النتائج والتوصيات:

1. إن انتشار الجرائم والاضطرابات النفسية في العالم رغم التقدم التكنولوجي والمادي، يشير إلى تدني القيم الروحية والدينية، مما يتطلب ضرورة نشر المفاهيم الإيمانية التي توضح دور الإنسان ورسالته في الحياة.
2. إن العقيدة الإسلامية عقيدة عقلية- مصدرها النص الإلهي والنبوي والعقل آلة لفهمها والتجاوب معها- تدفع إليها الفطرة الإنسانية وتدعو إلى الاستقرار النفسي، ولنشر هذه العقيدة بين الناس يجب أن نأخذ بعقولهم؛ كالدعوة بالإعجاز العلمي للقرآن الكريم، خاصة أننا في عصر العلم، أخذين بالاعتبار اختلاف المستويات الإدراكية للناس؛ تفكير حسي مادي، أو منطقي، أو مجرد. على اعتبار أن ما تدفع إليه الفطرة، ويقبله العقل هو أدعى للقبول.
3. لقد درس العلماء علاقة الجينات بالسلوكات السلبية كالشذوذ والإدمان، ويدعو البحث المختصين بدراسة الجينات إلى دراسة علاقة الجينات بالسلوكات الإيجابية كالإيمان بالله والصدق، وذلك مع التأكيد على أهمية الإيمان بالله تعالى كإيمان بالغيب، إلا أن دعم الدعوة للعقيدة بما يقبله العقل هو وسيلة للاقتناع بهذه العقيدة التي تدعو إلى الاستقرار النفسي.

#### المراجع

- القرآن الكريم.
- إبراهيم، أحمد شوقي. (1994). الغضب، من ندوات جمعية الإعجاز العلمي للقرآن في القاهرة، مجلة الإصلاح، العدد 296.
- ابن كثير، إسماعيل. (1985). تفسير القرآن العظيم، ط 7، الجزء (3)، بيروت، لبنان: دار الأندلس، ص 249.
- ابن كثير، إسماعيل. (1983). قصص الأنبياء، بيروت، لبنان: دار الفكر.

- ابن منظور. (د ت). **لسان العرب**، المجلد الثاني (من الزاي إلى الفاء)، بيروت: دار لسان العرب.
- أبو داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير الأزدي السجستاني. (202-275 هـ). **سنن أبي داود-كتاب الصلاة-باب متى يؤمر الغلام بالصلاة**، رقم (495).
- إرمان، لي، وراثته وتطور السلوك، ترجمة: حسنين حسن. (1994). **دا مكجروهيل للنشر**.
- البخاري، محمد بن إسماعيل. (194 - 256 هـ). **صحيح البخاري**، باب: المعراج، الحديث: 3674
- جريدة الدستور**. (2000). العلماء يقرؤون الحرف الكيميائي رقم 2 مليار: ثورة الجينات البشرية تضع الإنسان على أبواب القلق العدد (11815) السنة (34) الأردن، عمان، ص 18.
- جريدة الرأي**. (2000). الإعلان عن فك رموز المخزون الوراثي البشري، العدد (10884) الأردن، عمان، ص 24
- الجزائري، محمد داوود. (1993). **الإعجاز الطبي في القرآن والسنة**، ط1، بيروت: مطبعة دار الهلال.
- الجميل، السيد. (1982). **الإعجاز الطبي في القرآن**، ط2، بيروت: دار مكتبة الهلال.
- جولمان، دانييل. (1995). **الذكاء العاطفي**، ترجمة الجالي، لبي (2000)، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.
- الدباغ، مصطفى. (1985). **وجوه من الإعجاز القرآني**، ط2، الأردن، الزرقاء: مكتبة المنار.
- الرفاعي، نعيم. (1987). **الصحة النفسية: دراسة في سيكولوجية التكيف** دمشق: جامعه دمشق.
- الزغول، عماد عبد الرحيم. (2001). **مبادئ علم النفس التربوي**، (ط1)، الإمارات العربية، العين: دار الكتاب الجامعي.
- الزندان، عبد المجيد. (1990). **التوحيد**، ط3، المدينة المنورة مكتبة طيبة الشعراوي، محمد متولي. (د.ت). **الله والنفس البشرية**، سوريا، دمشق: دار الحكمة للطباعة والنشر.
- الشربيني، لطفي عبدالعزيز. (2001). **الاكتئاب: الأسباب والمرض والعلاج**، ط2، دار النهضة: بيروت.
- الطراونة، سليمان. (2000). **الإعجاز العلمي في القرآن الكريم الكون والماء**، ط1، الأردن، عمان: دار الفرقان للنشر والتوزيع.
- عباس، بهجت. (2007). **الجينات والعنف والأمراض**، فيثون ميديا: السويد.
- عبد الحميد، معتز محيي. (2007). **جينات السلوك الإجرامي لدى الأطفال** Retrieved <http://forum.egypt.com/arforumJune,6,,2007from>
- عبد الرحيم، إيهاب. (2001). **الجينوم ذلك المجهول، العربي**، العدد (506) ص ص 120 - 125.

عبد الصمد، محمد. (1993). الإعجاز العلمي في الإسلام: القرآن الكريم، ط2، الدار المصرية اللبنانية.

عدس، عبد الرحمن، وتوق، محيي الدين. (1997). المدخل إلى علم النفس، (ط4) عمان: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

عدس، عبد الرحيم. (1985). من خصائص النفس البشرية في القرآن الكريم، ط1، الأردن، الزرقاء: مكتبة المنار.

علي، بهجت عباس. (1999). عالم الجينات، ط1، دار الشروق للنشر والتوزيع.

علي، محمد سامي محمد. (1995). الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، دمشق: دار النور.

العمر، تيسير خميس. (1998). حرية الاعتقاد في ظل الإسلام ط1، دمشق: دار الفكر.

غنيم، كارم. (1995). الإشارات العلمية في القرآن الكريم، ط1، دار الفكر العربي.

فلسفند، جاري. (1989). الدنا DNA مقالة مترجمة، مجلة العلوم، المجلد (6) العدد (12) ديسمبر ص ص 30-40.

القرني، عائض عبدالله (1999). لا تحزن، (ط3) بيروت: دار ابن حزم.

قطامي، يوسف؛ وعدس، عبد الرحمن. (2002). علم النفس العام، (ط1) الأردن، عمان: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

قطب، محمد. (1984). دراسات في النفس الإنسانية، (ط4)، بيروت: دار الشروق.

مجمع اللغة العربية. (2004). المعجم الوسيط، ط3، مكتبة الشروق الدولية.

محمود، عبد الحليم. (1982). التفكير الفلسفي في الإسلام، ط2، القاهرة: دار المعارف.

محمود، مصطفى. (د.ت). علم نفس قرآني جديد، دار أخبار اليوم: القاهرة.

مرسي، كمال إبراهيم (1995). تعريفات الصحة النفسية في الإسلام وعلم النفس، بحوث ومناقشات المؤتمر العالمي الرابع للفكر الإسلامي، المجلد (2)، الرياض: الدار العالمية للكتاب الإسلامي.

مسلم، أبو الحسين. (1955). صحيح مسلم، الجزء (1) كتاب الإيمان، (1-2) باب، (7-8) حديث، ص40، ط1، أستا نبول - تركيا: المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع.

مسلم، أبو الحسين. (1955). صحيح مسلم، الجزء (4)، كتاب الزهد والرقائق، (10-11) باب، (60-62) حديث، باب في أحاديث متفرقة، ص2294، ط1، أستا نبول - تركيا: المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع

- منظمة الصحة العالمية.(2009). اليوم العالمي لمنع الانتحار Retrieved December,14,2009from[http://www.who.int/mediacentre/events/annual/world\\_suicide\\_prevention\\_day/ar/index.html](http://www.who.int/mediacentre/events/annual/world_suicide_prevention_day/ar/index.html)
- ميتشو كاكو، ترجمة: خرفان سعد الدين، مراجعة: يونس، محمد. (2001). رؤى مستقبلية: كيف سيغير العلم حياتنا في القرن الواحد والعشرين . سلسلة عالم المعرفة، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.
- نشواتي، عبد المجيد. (1983). علم النفس التربوي، عمان: مؤسسة الرسالة.
- النعيمي، ناطق محمد جواد .(1990). مطابقة علم الأجنة لما في القرآن والسنة، بحوث المؤتمر الأول للإعجاز القرآني، بغداد: مطبعة الأمة .
- Netton , I.R . (1989). Allah Transcendent: studies in the structure and semiotics of Islamic philosophy, Theology, and Cosmology , (1 st . ed ) , London: Rouhedge.
- web(2001).webwize site news version 2001-2002.
- [www.daralhayat.com](http://www.daralhayat.com) 2004/02/10 22:54(GM
- [www.elazayem.com/new\\_page\\_230.htm](http://www.elazayem.com/new_page_230.htm)
- [www.islamonline.net\(2001\)./Arabic/news/-02/12/article24.shtml](http://www.islamonline.net(2001)./Arabic/news/-02/12/article24.shtml)